مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, **EISSN:** 2600-6189

مجلد: *15* عدد *01* جوان *2024*
العنوان: **بول ريكور : من أنطولوجيا النسيان إلى ايطيقا الغفران**
ص.ص 363-388.

بول ريكور : من أنطولوجيا النسيان إلى ايطيقا الغفران

لميس برتيل[1]، لخضر سباعي[2]

lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz [1]

lakhdar.sebai@univ-mosta.dz[2]

تاريخ الإرسال:19/ 03/ 2024 ؛ تاريخ القبول: 27/ 03/ 2024

Paul Ricoeur: From An Ontology Of Forgetting To An Ethics Of Forgiveness

Abstract: The research effort undertaken in this study aims to examine the political values present in the philosophical discourse of Paul Ricoeur. Additionally, it seeks to illuminate his optimistic mindset as an endeavor to reform the condition of humanity and find a solution to the wounds inflicted upon memory due to the increasingly intolerant, violent, and war-ridden manifestations of the twentieth century. These manifestations, along with the growing political and social congestion, have resulted in an imbalance in the principles and values that govern the relationship between individuals. The events of this century can be regarded as one of the cruelest and most instructive lessons in history, leaving deep and painful scars on the psyche and consciousness. Despite the assumption of military conflicts in numerous countries worldwide, memory wars, which involve the influence of the past and its authority over the present, continue to persist to this day. Consequently, it becomes imperative to conduct research on memory, its significance, and methods of purification, in order for humanity to rekindle the aspiration of universal coexistence in a peaceful manner, despite the lingering pain of the past. According to Paul

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

Ricoeur, this vision can only be realized through the establishment of a rational moral culture that encompasses memory, forgetfulness, forgiveness, and recognition, both at the individual and communal leve.

Keywords: Memory, history, violence, forgetting, forgiveness, coexistence.

الملخص:

يهدف المسعى البحثي في هذه الدراسة إلى استجلاء القيم السياسية في الخطاب الفلسفي لبول ريكور، وكذا تسليط الضوء على الروح التفاؤلية التي جاء بها، في محاولة منه اصلاح حال الإنسانية وايجاد مخرج يكون كعلاج لجروح الذاكرة، الناتجة عن ويلات ما شهده القرن العشرين من تفاقم لمظاهر التعصب والعنف والحرب وتزايد الاحتقان السياسي والاجتماعي...، الذي أحدث خللا في المبادئ والقيم التي تحكم علاقة الذات بالآخر، فحق لأحداث هذا القرن أن تكون من أكثر دروس التاريخ قسوة وأجدرها بقاءً على سطح الذاكرة، بما خلفته من جروح دامية ومتقرحة في أعماق الروح والعقل، لهذا وبالرغم من تولي الحروب العسكرية في الكثير من دول العالم، إلا أن حروب الذاكرة المتمثلة في تأثير الماضي وسلطته على الحاضر لا تزال قائمة إلى يومنا هذا، الأمر الذي جعل من البحث في الذاكرة ودورها وسبل تطهيرها أكثر من ضرورة، حتى تتمكن البشرية من استئناف حلم التعايش الكوني المشترك بسلام رغم ما حمله الماضي من آلام، هذا الحلم الذي لا يتحقق حسب بول ريكور إلا من خلال توطين ثقافة أخلاقية عقلانية رشيدة في التذكر والنسيان والغفران والاعتراف لدى الأفراد والمجتمعات.

الكلمات المفتاحية: الذاكرة؛ التاريخ؛ العنف؛ النسيان؛ الغفران؛ التعايش المشترك.

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, **EISSN:** 2600-6189

مجلد: *15* عدد *01* جوان *2024*
العنوان: **بول ريكور : من أنطولوجيا النسيان إلى ايطيقا الغفران** *ص.ص 363-388.*

مقدمة:

لا نجانب الصواب إن قلنا أن سؤال "ما الإنسان؟"، على الرغم من قدمه إلا أنه لم يعرف إجابة واحدة؛ ولا تحديدا نهائيا بل راح يتسع شيئا فشيئا مع مختلف التغيرات التاريخية، لهذا كان ولا يزال من الأسئلة المشروعة التي عرفت حدتها خاصة في القرن العشرين الذي يوسم بكونه **"قرن الحرب** Un Siécle De Guerre **"**، إذ تعاظمت شرور الإنسانية وأخطائها؛ فعم العالم موجات من العنف والصراع الدامي والإرهاب والتقتيل والعدوان والكراهية، وسيطرة التقنية وسيادة السلطوية السياسية للأنظمة الشمولية المستبدة ...وغيرها من المشاكل والأزمات التي جعلت من الإنسان كائنا مستلبا وجوديا عاريا من الإرادة فاقد للحرية يحيا اغترابا ذاتيا وسياسيا واجتماعيا....

صحيح أن الحروب العسكرية قد عرفت نهايتها في الكثير من دول العالم، إلا أن نهايتها لا تعني انتهاءها، بل هي طريق مشروع لولادة حرب من نوع جديد هي **"حرب الذاكرة** Guerre De Mémoire"، من حيث أن الماضي يبقى لصيقا بالإنسان يمارس تأثيره على الحاضر والمستقبل، فوحشية وكارثية نتائج هذه النزاعات ولدت ذاكرة مجروحة "Mémoire Plessée "، لا تزال تداعياتها تلقي بظلالها على العلاقة بين الضحية والجلاد، إذ يستعصي قلب الصفحة وتصفحها كماضي، فثمة جراح لم تلتئم بعد وأخرى تستمر في النزيف، لحدة آلامها المتفاقمة، بسبب مسائل الذاكرة غير المحسومة بينهما، إذ تظل الضحية تتمسك بضرورة اتخاذ خطوات للاعتراف بجرائمه من أجل انصاف الذاكرة والتاريخ، في حين يرفض الجلاد ذلك محاولا التقليل من حجم جرائمه- كما هو الشأن بين الجزائر وفرنسا مثلا-، وهو الأمر الذي أحدث خللا في المبادئ والقيم التي تحكم طبيعة العلاقة بين الذات والآخر، وأصبح كل طرف فاقد لمعناه منغلق على ذاته ووجوده الخاص، منسحب من فضاء الفعل والعمل، تسيطر عليه النظرة التشاؤمية المأساوية .

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

إن هذا الوضع المأساوي الذي تعيشه الإنسانية بسبب ذاكرتها المجروحة والمتألمة، قد أثار فضول الكثير من الفلاسفة والمفكرين، وعلى رأسهم الفيلسوف الفرنسي **بول ريكور Paul Ricoeur** (1913-2005)، الذي عمل على اصلاح هذا الوضع من خلال البحث في الذاكرة ودورها وسبل تطهيرها وعلاجها وشفاءها، حتى نضمن للذات التي ضجرت من الحروب والنزاعات أن تستأنف حلم التعايش المشترك مع غيريتها بسلام وأمان رغم ما حمله الماضي من آلام، وبناءً على ذلك يمكن طرح الإشكال التالي :

هل تشفى جروح الذاكرة الناتجة عن شقاء التاريخ بالنسيان أم بالغفران حسب بول ريكور؟ أو بعبارة أخرى **ما السبيل نحو ترشيد فعل التذكر بما يضمن استمرار التعايش السلمي المشترك بين الأفراد و الأمم؟ .**

لحل هذه الاشكالية يمكن أن نضع الفرضيات التالية :

- أن علاج الذاكرة المجروحة حسب بول ريكور يتحقق عن طريق نسيان الماضي التاريخي الأليم كليا والغفران والصفح عما سلف.
- لا يتحقق التعايش المشترك بين الذات والآخر حسب بول ريكور إلا من خلال الحفاظ على الماضي التاريخي وصونه، مع ضرورة اعتراف الفاعل بأخطائه وجرائمه، وطلب الاعتذار والصفح.

أما عن الهدف من هذه الدراسة، فيتمثل في التطرق إلى المعاني المختلفة للذاكرة الإنسانية في علاقتها بالحرب، وكذا التطرق إلى مختلف أشكال التوظيف السياسي للذاكرة التاريخية والتعرف على سبل تطهيرها وعلاجها من جراحها، وذلك من خلال الطرح الفلسفي التأويلي الذي قدمه بول ريكور، بهدف الوصول إلى سبيل لعقلنة العالم، بحيث يصبح فضاء يسمح لنا بالتساكن الكوني رغم الاختلاف والتعدد "دينيا وثقافيا وتاريخيا وعرقيا..."، وبناءً على هذا ارتأينا ضرورة وضع مجموعة من المحاور التي رأينا فيها أهمية في معالجة

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

هذا الموضوع، معتمدين في ذلك على جملة من المناهج من أهمها : المنهج الهيرمينوطيقي وكذا المنهج التحليلي النقدي.

في انطولوجيا النسيان:

إن الحديث عن النسيان كإشكالية فلسفية، يقتضي منا أولاً أن نشير إلى الدلالات المعرفية والفلسفية التي يؤخذها هذا المفهوم، فمن الناحية اللغوية تعود أصوله إلى الكلمة اللاتينية "Oblivio" والتي يقابلها في الفرنسية كلمة "Oubli" وفي الانجليزية كلمة"Forgetting " وهي تدل في مجملها على أن النسيان هو "الفقدان الكلي أو الجزئي؛ المؤقت أو النهائي لما حفظته النفس من صور ومهارات حركية، وهو قسمان : نسيان طبيعي كما في فقدان الحضور التلقائي أو العجز عن التذكر الإرادي، ونسيان غير طبيعي كما في أمراض الذاكرة، هذا ويقال في النسيان أنه مرادف للغفلة والسهو والذهول، من حيث هو مضاد للعلم واستحالة اجتماعه معه"(صليبا جميل، 1982: 468)، ومنه فالنسيان هو تلف يؤدي إلى غياب وانمحاء ما كان لنا به معرفة ودراية وهو نقيض التذكر، ولعل ما يميز النسيان أنه ظاهرة طبيعية فطرية فينا، غير أن تفاقم حضوره عند الإنسان يجعله يعَّدُ على أنه حالة مرضية تستدعي العلاج.

يعرف أيضا النسيان على أنه عدم القدرة على استرجاع المدركات السابقة كالخبرات والذكريات والأحداث والمهارات وقت استدعائها، وقد يكون هذا العيب في تثبيت الذكريات واسترجاعها ناجم عن أسباب عدة : كقصور لدى الإنسان أو غياب الاهتمام منه، فينسى المرء مثلا بسهولة ما لم يعره انتباها، أو قد يكون ناجم عن مرور الزمن، ولقد بين بعض علماء النفس مثل هارمان ابيجاوس Herman Ebbinghaus"1850-1909"وهنري بيرون Henri Piéron"1881-1964" أن النسيان وظيفة الزمن المنقضي منذ التعلم، وأكدت مع ذلك أعمال تجريبية عديدة أفكار هنري برغسون Hinri Bergson"1859-

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

1940"وسيغموند فرويد Sigmund Freud "1856-1939" في أن المعيش الماضي لن يكون أبدا منسيا بصورة واقعية، فالذكرى تدوم إلى ما لا نهاية، وحتى لو أنها تزول تحت تأثير قوى معينة فإنها ليست مفقودة، إذ بوسعها أن تنبعث مجددا في بعض الأوضاع أو بمناسبة ظروف ملائمة، فالنسيان ذو علاقة دائمة بنبذ ذكريات مزعجة أو مؤلمة أو غير متناسبة مع المقتضيات الأخلاقية (نوربير سيلامي، 2000: 2568-2569)، وعليه فارتباط النسيان بالفقدان لا يدل دائما على أنه ظاهرة سلبية، ولكنه كثيرا ما يكون بمثابة فعالية ايجابية تخدم الإنسان في مختلف النواحي "نفسيا وفكريا واجتماعيا.."، بما يضمن له امكانية الاستمرار في الحياة والتكيف مع مختلف المواقف والمتغيرات.

لقد اعتبر بول ريكور أن النسيان يظهر دائما كتهديد مقلق في خلفية الذاكرة والتاريخ على السواء، أو كطعن في وثوقنا بالذاكرة، من حيث أن ضعف أو نقص هذه الأخيرة يحدد نفسه دائما على أنه صراع ضد النسيان(Paul Ricoeur,2000 :537) فإذا كانت الذاكرة هي المادة اللاصقة التي تجعل حياتنا العقلية متماسكة، وحين تضيع فإننا نخسر مقدرتنا على احياء ماضينا وتحقيق الأمانة والوفاء وحلم الصدق له، وتكون النتيجة أننا نفقد صلتنا بأنفسنا وبالآخرين (لاري سكواير وايرك كاندل، 2002: 10)، فإن النسيان يعترض هذا التوازن في مظهر الهدام والمحطم للحقيقة والوفاء على السواء، هذا ويرجع ريكور أسباب شيوع هذه النظرة حول قيمة النسيان إلى الفلسفة اليونانية حين ربط أفلاطونPlato"427-347ق.م" المعرفة بالتذكر والجهل بالنسيان، فأعلى بهذا من التذكر لكونه يعود إلى معرفة كامنة في نفوسنا سابقة عن ولادتنا فَصَلَنا عنها نسيان مرتبط بتدشين حياة النفس في الجسد، هذا النسيان هو بشكل ما ولادي يجعل من البحث إعادة تعلم للمنسي (Paul Ricoeur,2000 :36)، إذ منذ لحظة أفلاطون تم النظر إلى النسيان على أنه عدو الذاكرة وعائقها، وقد استمرت هذه الرؤية عبر التاريخ لتتعمق أكثر في الفلسفة الحديثة نتيجة الإعلاء من شأن الذاكرة

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

واعتبارها المحدد الفعلي لهوية الفرد، لكن سرعان ما تغيرت النظرة للنسيان وقيمته في الوجود الإنساني، من نظرة التهميش والاحتقار إلى العناية والاهتمام مع نهاية مرحلة الحداثة، فيا ترى ما هي الأسباب التي وجهت الأنظار نحو الالتفاتة لأنطولوجيا النسيان؟

التاريخ الشقي وأزمة الذاكرة الإنسانية:

يعتبر بول ريكور أن السبب الأساسي وراء الألم والمعاناة والشقاء التاريخي للإنسان في هذا الوجود، إنما يعود إلى ذلك الشر الجذري الذي يختلج النفس الإنسانية، والنابع من طبيعتها التكوينية القائمة على مبدأ اللاعصمة والهشاشة، التي تجعل من الإنسان يقوم بالشر ويرتكب أخطاءً دون ارادته لأنه كائن حر، "فإنسانية الإنسان هي وبحسب أية فرضية فضاء لظهور الشر"(بول ريكور، 2008: 20).

إن هذا التوارث الإنساني للخطيئة قد جعلها تتقاتل وتتصارع فيما بينها نشدانا للعظمة أو المنفعة أو حفاظا على البقاء على مر التاريخ، لا سيما منذ زمن الحداثة أين عرفت الأنانية والفردانية طغيانا كبيرا، ما جعل من الإنسان يقترف حروبا وأشكالا من العنف وصلت إلى حد الابادة الجماعية في أغلب دول العالم، فلقد ساد العنف نتيجة سيطرة الأنظمة الشمولية وتفاقم الارهاب مع العولمة، ولعل من بين أشهر الأحداث الدامية نجد "أحداث11 سبتمبر 2001، انتشار محرقة (الهولوكوست) ومعسكرات الموت الستالينية التي مورست خاصة ضد اليهود، قنبلة الهيروشيما وناجازاكي واستدمار الكثير من بلدان العالم الثالث وتفاقم الاحتقان السياسي والتمييز العنصري في جنوب أفريقيا..."، وكلها أحداث تنم عن زيف الوعود التنويرية الحداثية من "حرية، سلام، أمان، مساواة..." إذ كانت النتائج خلاف المبادئ تماما، لقد انتشرت "الهيمنة، السيطرة، الاغتراب..."، وهو ما جعل من التاريخ مليء بالصفحات السوداء، التي حفرت في الذاكرة جراحا وآلاما عميقة لا تزال تداعياتها إلى اليوم، إنها **أزمة الذاكرة**، حيث أصبح الماضي يهدد أمن المستقبل وحياة الأجيال الإنسانية القادمة.

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

إن هذه المآلات الوخيمة التي خرجت بها الإنسانية بعد الحربين العالميتين، قد أحدثت منعطف ذكرياتي، وأصبح التفكير في الذاكرة وسبيل خلاصها من جراحها الأساس الأول الذي ينبغي الالتفات له في تحقيق حلم التعايش المشترك، من خلال ضرورة اعادة النظر في التاريخ الإنساني وفق منظور جديد تتداخل فيه جدلية التذكر والنسيان بما يفتح آفاق جديدة لمستقبل البشرية، وذلك من منطلق كون الذاكرة الملكة الحامية والحافظة للتاريخ الماضي، بحيث أننا لا نملك موردا آخر فيما يخص الإحالة إلى الماضي سوى الذاكرة عينها، فلقد ألصق بالذاكرة طموح ادعاء؛ وهو أنها أمينة للماضي، فهي إذن أرضية التاريخ ولولاها لما حفظ ولما دون، لأن شهادة أولئك الذين حضرو الحدث وعاشوه هي المصدر الأول للمؤرخ للمرور بين الذاكرة والتاريخ (Paul Ricoeur,2000:26)، كما أنها سجل ماضي التاريخ الذي لا بد أن يعترف بأنه مدان لها، خاصة أن كتابته هي مرافعة للدفاع عن هذه الذاكرة على أنها الحافظة لماضيه والممثلة له في الحاضر(François Dosse,2013 :200).

إذ وفي ظل حفظ الذاكرة لوقائع التاريخ بين قطبي الزمان والسرد، ونقل التاريخ لما تحفظه الذاكرة من أحداث، يحضر النسيان الذي يظهر لنا دائما وكأنه تهديد مقلق لكل من الذاكرة والتاريخ (Paul Ricoeur,2000:536)، فنعيشه دائما كضعف في الذاكرة وعجز في مقدرتها على حفظ ما حفل به التاريخ من وقائع، فيشكل النسيان بذلك تحديا حقيقيا للتاريخ والذاكرة على السواء، ولا شك أن سمة الضعف هذه التي تم التسليم بها حول قيمة النسيان مقارنة بالإيمان بأحقية الذاكرة وجدارتها، قد دفعت ريكور إلى التساؤل : هل ينبغي لنا دائما أن نسلم ثقتنا المطلقة في قوة الذاكرة ونراهن على أن ضمان سلامة وأمن ذواتنا وغيريتنا مرتبط بها؟

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, **EISSN:** 2600-6189

مجلد: *15* عدد *01* جوان *2024*
العنوان: **بول ريكور : من أنطولوجيا النسيان إلى ايطيقا الغفران** *ص.ص 363-388.*

التلاعب الاستعمالي بالذاكرة والنسيان:

يرى بول ريكور أن بلوغ السلام الأنطولوجي وتجاوز الأحقاد واعادة تأسيس علاقة الذات بالغير لا يكون إلا من خلال الالتزام بواجب الذاكرة Devoir De Mémoire أو كما يسميه عمل الذاكرة Travail de mémoire، إذ "أن أفضل استعمال لجراح الذاكرة يبدأ بممارسة عمل الذاكرة، والعقبة التي يجب مجابهتها وتجاوزها هي عقبة النسيان وبخاصة انمحاء الأثر وصعوبة تذكر التجارب المؤلمة والمحزنة، ومن هنا وجب التحلي بالشجاعة في مواجهة النسيان ومحو الأثر والعمل على جمع الذكريات وحفظها بواسطة مؤسسات وقوانين وأدوات وامكانيات وطرائق في البحث والحفظ، فالجزء الأساسي من البحث عن الماضي وتمثله هو تعليم عدم نسيانه" (بغورة الزاوي، 2012: 52)، ذلك أن التاريخ هو مرآة الأمة ومن لا ذاكرة له لا حاضر ولا مستقبل له، لهذا شدد ريكور على ضرورة الالتزام بعمل الذاكرة وحفظ الماضي ووقائعه بمختلف أفراحه وآلامه وفواجعه...، في مقابل مواجهة صعوبة تذكر التجارب المؤلمة ومحو الآثار، فواجب الذاكرة يقتضي بالضرورة واجب عدم النسيان.

إلا أن التحدي الأكبر في كل عملية تذكر حسب ريكور إنما يتمثل فيما تواجهه الذاكرة من تلاعب واستغلال Instrumentalisation فإذا كانت الذاكرة تتعرض للأمراض المختلفة "كالأفازيا والأمينيزيا" فهي كذلك تتعرض للتلاعب، حيث تستطيع تقلبات الذاكرة المستعملة مثلا أن تؤثر في الطموح الصدقي للذاكرة المتمثل في الوفاء في حراسة الزمن، إذ أن استعمال الذاكرة يحمل في ذاته احتمال الشطط والتعسف وسوء الاستعمال، وبين هذا وذاك تصبح الذاكرة مهددة بشكل كلي في استهدافها الصادق للحقيقة عن طريق سوء الاستعمال (Paul Ricoeur,2000: 68)، بحيث يصبح معها لا سبيل لبلوغ ذاكرة سعيدة دون تجاوز بعض من أشكال اساءة استعمال الذاكرة الطبيعية والنسيان الطبيعي على السواء، وفي هذا يقول ريكور "إن ما يجعلني أضطرب هو المشهد المقلق حين ترى الفائض من الذاكرة هنا

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

والفائض من النسيان في مكان آخر، هذا إن لم نقل شيئا عن مدى تأثير إقامة الاحتفالات بذكرى أو بأخرى وعن مدى اساءة استعمال الذاكرة وكذلك النسيان على السواء" (François Dosse,2013 :7)، وما يؤدي اليه من ظهور أشكال سلبية من الذاكرة يتمظهر من خلالها النسيان في صورة سلبية مناقضة ومدمرة للذاكرة، ولعل من بين هذه الأشكال نجد ثلاثة أساسية ذكرها ريكور في كتابه الذاكرة، التاريخ، النسيان la mémoire, l'histoire, l'oubli :

- **النسيان والذاكرة المعاقة أو المحظورة Empêche**: تتصل بالتحليل النفسي الذي يحيل إلى الذاكرة الجريحة "المريضة" بمختلف أشكالها، ذلك أن الذاكرة الإنسانية فردية كانت أم جماعية في مسيرة عيشها للتاريخ ومجريات وقائعه وأحداثه تتلقى أحيانا صدمات، فتلجأ في هذا المستوى إلى اعتماد آليات الكبت والتحويل والمقاومة أو القيام بتصرفات حدادية لإخفاء ما لحق بها، فتتحول الذاكرة بهذا إلى ذاكرة انتقائية تختار من الماضي ما يناسبها وما لا تريده يدرج ضمن المكبوتات في دائرة اللاوعي (Paul Ricoeur,2000: 96)، هذا ما يجعل الكثير من الذكريات جريحة تحتاج إلى علاج.
- **النسيان والذاكرة المتلاعب بها أي المدبرة Manipuler** :

حيث تعتبر الذاكرة المحرفة من أكثر أشكال اساءة استعمال الذاكرة والنسيان على السواء، من خلال التلاعب المقصود بالذاكرة والنسيان من قبل من يملكون زمام السلطة، بحيث تصبح الذاكرة أداتية (Paul Ricoeur,2000: 97) أي كأداة Instrumentalisée في يد رجال الدولة للسيطرة وفرض القوة والهيمنة، وذلك عبر اخضاع الذاكرة الفردية والجماعية لعمليات التشويه التي تقوم بها الأيديولوجيات التابعة للسلطة السياسية، بإقامة احتفالات وأعياد مخلدة لذكرى معينة، بحيث تفرض من وراءها إلى إلزام الناس على تذكر ما تريده هي ونسيان ما تريده أيضا من تلك الأحداث، أي النسيان والتذكر بالقوة أو الإجبار، معتمدة في ذلك على سياسة أدلجة الذاكرة عبر ممارسة أشكال من

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

الاكراه الصامت على الأخلاق والعادات في المجتمع، فتتوارث بذلك الأجيال ذاكرة ناقصة ومحرفة (برتيل لميس، 2023: 217).

تعمل السلطة هنا على تعبئة الذاكرة من أجل خدمة السعي إلى الهوية أو طلبها أو المطالبة بها، فتنتج عن ذلك انحرافات من عوارضها المقلقة : الافراط في الذاكرة في منطقة معينة من العالم، أي سوء استعمال الذاكرة، مقابل نقص تام في الذاكرة في مكان آخر، أي سوء استعمال للنسيان وهو ما يترتب عنه هشاشة في الذاكرة (Paul Ricoeur,2000: 98)، وهنا يعدد ريكور العوامل التي تؤدي إلى التلاعب بالذاكرة وهشاشتها كعامل الزمن والعلاقات العدائية مع الغير والعنف المؤسس الذي يكتسب شرعيته عن طريق دولة القانون، وهي في مجملها تؤدي إلى تشويه الهوية وطمسها (Paul Ricoeur,2000: 99)، وهنا يؤكد ريكور على أن الايديولوجيا فضاء خطير للتلاعب بالذاكرة وتخريبها والغاء معالم الهوية عن طريق اللعب على وتر التذكر وتفعيل فعل التنسية بهدف تحقيق أغراض سلطوية نفعية خاصة.

- **النسيان والذاكرة الملزمة أي المأمورة Obliger** أو ما يصطلح عليه بالذاكرة المرغمة أي الذاكرة المبنية سلفا، أين تكون السلطة مهيمنة ومسيطرة كليا على الذاكرة بحيث لا مجال للفرد ولا للجماعة في استعمال الذاكرة، بحيث تلجأ السلطة إلى فرض اجراءات صارمة ورادعة لتخويف الشعب ومنعه من تقصي المعلومات ونقدها أو التشكيك فيما هو معلن من قبلها (تزفيتان تودوروف، 2006: 158)، وهنا يتم فرض سيطرة تامة عليها بشكل سيء جدا، عبر تلقين الأطفال معارف تاريخية كاذبة ومشوهة لا تعكس حقيقة الواقع التاريخي المعاش يتم فيها إلغاء كل ما يمس شرعية السلطة والتاريخ الرسمي (Paul Ricoeur,2000: 104)، وعلى إثر هذا الاستعمال تضيع حقيقة الذاكرة التاريخية والهوية المشتركة بين الذات والآخر.

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

إن الشيء الذي يجعل كل سوء استعمال للذاكرة هو سوء استعمال للنسيان إنما يكمن في الوظيفة التوسطية للسرد، أي الطابع الانتقائي للسرد؛ فإذا كنا لا نستطيع أن نتذكر كل شيء فإننا لا نستطيع إذن أن نقص كل شيء، إن فكرة السرد الجامع الشامل هي فكرة مستحيلة انشائيا فكل سرد يحوي بعدا انتقائيا (Paul Ricoeur, 2000: 579)، هنا يصبح عمل النسيان عملا مضاعفا لعمل الإلزام الذكرياتي، ذلك أن عملية أدلجة الذاكرة تصبح ممكنة حين تفرض القوى العليا سلطتها على السرد وتفرض رواية واحدة شرعية عن طريق الترهيب والإغراء والتخويف، هنا "ينشأ شكل ماكر للنسيان متأت من حرمان الفاعلين الاجتماعيين من سلطتهم الأصلية في أن يرووا قصتهم بأنفسهم"(Paul Ricoeur, 2000: 580)، أو من خلال تطعيم استراتيجيات النسيان مباشرة من خلال التسويات الودية للصراعات ومعاملات المجاملة التي تنتهي إلى تزوير التاريخ، أي اعتماد العفو العام الذي يعد اساءة ذات طابع سياسي لكن في بعد قانوني قضائي ايديولوجي، فالعفو العام يشير إلى نكران الذاكرة باعتماد نسيان تعسفي، وهو امتياز سياسي يمنحه الحاكم أو الملك أو الرئيس والذي تتمثل غايته ظاهرا بأنها المصالحة ووضع حد لعنف الحروب وتجاهل الأحقاد وتغيير الأنظمة السياسية، إلا أن هذا الوصف الإيجابي تم تعديله بفكرة النسيان القضائي المحدد لهذا يعتبر ريكور"العفو العام نكران ذكرياتي وممارسة نفعية تقتضي إلغاء إرادة معرفة الحقيقة ونفي الضرر وحرمان الضحايا من حق الاعتراف"(بول ريكور، الذاكرة والسرد حوارات، 2016: 42)، لهذا فتطبيق العفو العام له أضرار وخيمة تؤثر في طبيعة العلاقة الجدلية التكاملية بين الذاكرة والتاريخ والنسيان معا مما يمنع من فهم وتمثل الماضي، هذا فضلا على أن العفو العام هو نسيان مؤسساتي لا يزيل الألم نهائيا بل يتجاوزه فقط، مما يودي إلى فقدان الذاكرة الجماعية وتزوير الحقيقة التاريخية، ولكن يا ترى هل النسيان دائما تعطيل وظيفي لعمل الذاكرة، ألا يمكن الحديث عن

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

نسيان سعيد كما في الذاكرة؟، ألا يحدث نسيان عادي متجاوز للتصور البيولوجي إلى هيرمينوطيقا الوضع البشري؟

حق النسيان المستنير:

لقد خصص بول ريكور جزءً كاملا من كتابه الذاكرة والتاريخ والنسيان للحديث عن انطولوجيا النسيان "هيرمينوطيقا الوضع التاريخي" كأفق هام في مشروع أنثروبولوجيا الإنسان القادر، معتبرا أن التصور العلمي المادي يؤثر على مشكلة النسيان لأنه يتكلم عن النسيان بوصفه تعطيلا للذاكرة أو انحراف لها، أي أنه محو للأثار الدماغية والكتابية والنفسية - فقدان الذاكرة- (Paul Ricoeur, 2000: 539)، هذا فضلا عن الاستعمال السياسي للنسيان "كالنسيان المأمور والبرغماتي" الذي يظهر في شكل عفو عام من قبل من يمتلكون زمام السلطة بهدف تحقيق منافعهم ومصالحهم، ومنه فإن نقيض ذاكرة المآسي إذن ليس النسيان، وإنما شكل آخر منها يتمثل في جملة الأفعال المراد من وراءها تخفيف وطأة النزاعات وقسوتها على أولئك الذين لم يشاركوا فيه.

"إن نهاية فكرة الحروب التي شكلت الناقل الأقوى في توجيه الزمن التاريخي نحو المستقبل، لم تكن إلا لتؤدي إلى تحول سريع في الإحساس بالماضي وفق مفهوم ثوري للزمن يعرف المرء من خلاله ما يجب استذكاره من الماضي للاستعداد للمستقبل، ويعلم المرء أيضا ما يجب حذفه أو نسيانه أو تدميره" (بييرنورا، 2020: 133)، وعليه فلا يمكن لأي شعب أن يراكم كل تاريخه، إذ لا بد له إلى جانب قيامه بعمل الذاكرة وحفظها من الضياع أن يفتح مجالا لإرادة النسيان، ذلك أن الإنسان كما يرى فريديريش نيتشه Friedrich Nietzsche (1844-1900) في "حاجة إلى النسيان مثلما هو في حاجة إلى التذكر، حتى يحيا حياة متزنة، هذا الفشل في إقامة التوازن بين التذكر والنسيان يشكل خطرا على الأفراد والشعوب، وهو ما يجعل الإنسان يلجا إلى

التاريخ الأثري من أجل المواساة" (فريدريش نيتشه، 2019: 12)، كل هذا جعل من بول ريكور يجد في النسيان أفقا نقل من خلاله الذاكرة من المقاربة النظرية الكلاسيكية القائمة على القول بأن التذكر هو تمثل للماضي فقط، إلى مقاربتها عمليا من خلال جعلها مشروعا للمستقبل.

تصبح الذاكرة حملا ثقيلا يستبد بإنسانية الإنسان لما رسخ فيها من أحداث جارحة، فيتحول معها فعل التذكر من كونه مصدر للسعادة الى مأساة وعذاب وسببا للمرض، ذلك "أن تذكيرنا الحثيث لأحدهم بالأحداث الأكثر مرارة التي عاشها في حياته يتضمن شيئا من القسوة اللامتناهية، فحق النسيان موجود أيضا" (تزفيتان تودوروف، 2006: 233) وهو ما يدل على أن النسيان ليس عدو الذاكرة من كل النواحي وعلى الذاكرة أن تتفاوض مع النسيان كي تجد تلمسًا القياس الصحيح لتوازنها معه (Paul Ricoeur, 2000: 537)، فلولا النسيان لما تمكنت الذاكرة من أن تكون مخلصة وأمينة للتاريخ، غير أن ريكور هنا يتحفظ فهو لا يقصد النسيان بمعنى النسيان الذي يؤدي إلى الضياع؛ بل ذلك النسيان الذي يقول لنا أي ذاكرة تستحق أن نحتفل بها وأي ذاكرة علينا أن نتركها تذهب بسلام ليلفها النسيان بسلمه (بول ريكور، 2009: 15)، حيث يرافق النسيان كل مرحلة من مراحل تشغيل الذاكرة، وهو ما يؤكد أيضا أن الذاكرة هي من تحفظ للنسيان وجوده وحضوره المستمر، فحياتنا مجموعة من حقائق حاضرة وغائبة يمكن تذكرها ونسيانها عن الوجود والموجودات، فأن أتذكر يعني أن لا أنسى (بول ريكور، 2010: 154)، وهذا ما يجعل من النسيان قوة لا ضعف أو عجز أو هوان في الذاكرة بل قوة تعبر عن أنطولوجيا الذات القادرة الفاعلة والمستطيعة التي عبر عنها ريكور من خلال تحوير الكوجيتو الديكارتي من أنا أفكر إذن أنا موجود إلى أنا أتذكر أنا أنسى إذن أنا موجود ، تلك الذات الفاعلة والمستطعة القادرة على توظيف قدراتها بما يتيح لها امكانية الحياة مع الأخر المغاير لها.

إن الماضي غير قابل للتدمير حتى تلك الذكريات التي كنا نظن أننا نسيناها، فإنها لم تمت ولم تضمحل، إذ أن اللاوعي هو موطن

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, **EISSN:** 2600-6189
مجلد: *15* عدد *01* جوان *2024*
العنوان: **بول ريكور : من أنطولوجيا النسيان إلى ايطيقا الغفران** *ص.ص 363-388.*

ماضينا وكل ماضينا يوجد في حالة اللاوعي تحت تشكل ذكريات مجردة من مادتها وانتقالها إلى مجال الوعي من خلال التذكر والاسترجاع، "فالصدمة تبقى حتى حين لا يمكن بلوغها ولا الوصول لها، لهذا في كثير من الأحيان هناك أجزاء كثيرة من الماضي نظن أنها منسية تستطيع أن تعود"(Paul Ricoeur, 2000: 576)، ومنه فالذاكرة التي أريد تذكرها أتذكرها والتي لا أريد تذكرها يفرضها علي النسيان، فتلك الذكريات التي تظهر خلسة بفضل النسيان توقض الذاكرة وتجنبها الرتابة والاستياء، وبالتالي التحرر من الذاكرة التي تتلذذ بعذابات الآخر أو النفس، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أن "هناك نسيان ضد النسيان المدمر إنه النسيان الذي يحفظ الأثر، وهو النسيان الذي يجعل الذاكرة ممكنة فكما أن الانتظار غير ممكن من دون واحد ينتظر، كذلك فإن الذكرى غير ممكنة إلا على أساس النسيان وليس العكس، لأنه على نمط النسيان يفتح الوجود" (Paul Ricoeur, 2000: 572).

يدعو بول ريكور هنا إلى إنشاء ما يسميه فن النسيان ars oblivionis على منوال فن الذاكرة ars mémoriae (Paul Ricoeur, 2000: 536) معتبرا أن النسيان ليس اختلالا للذاكرة ولا تشويه للتاريخ، بل هو طريقة وفن يتعلق بالاستعمال الجيد والمغاير للذاكرة، أي استعمال الذاكرة والتاريخ استعمالا مغايرا يمكننا من الاستفادة من دروسه وعدم تكرارها، فالماضي يعاش لكن لا نسكن فيه بقدر ما نسعى إلى أن نستفيد منه، لهذا فالإنسان دائما بحاجة ضرورية إلى امتلاك قوة النسيان واستعمالها من حين لآخر من أجل تحطيم ماض ما ونقضه واستخراج القيم المثالية الكامنة فيه، ذلك أن فعالية الذات وقدرتها تتعاظم بمعرفة وتذكر تاريخها وحسن التعامل معه عن طريق الغفران والصفح اللذان هما الحل والدواء لداء الذاكرة.

لا يقصد ريكور هنا النسيان بمعناه الكلاسيكي المرضي بل النسيان الذي يستند إلى التأويل والسرد كآليتين لإعادة بعث الماضي بصورة جديدة، تمكن إنسان الذاكرة والتاريخ من أن يشفي جراحه

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

ويعوض خساراته، "فشفاء ذاكرتنا المتألمة لا يكون بطمسها بل بمداواتها بالحكي دون موت؛ إنها سلطة الكتابة" (بول ريكور، حي حتى الموت، 2016: 54)، التي تكمل الواقع وتجعله قابل للعيش، وفي هذا يلجأ ريكور إلى استعارة شعار الأنوار " تجرأ أن تعرف وأخرج من حالة القصور والوصاية" ليبني شعارا جديدا يؤسس لذاكرة سعيدة حيث يقول "تجرأ على أن تتذكر وأن تنسى وأن تسرد قصتك بنفسك" (Paul Ricoeur, 2000: 580)، وعليه فقد وجد ريكور في السرد آلية لا بد أن يستخدمها الناس للتعبير عن تجربة عدم نسيانهم للماضي، وأن عليهم أن يعيدوا تصور الماضي كما كان إلى الحياة ثم اعادة بناءه على النحو الذي يجب أن يكون عليه باستخراج القيم المثالية والأخلاقية الكامنة فيه، ذلك أن السرد "هو عملية تعبير وتجديد ديناميكية تسمح للشخص بمسائلة أو تحدي تمثيلات الماضي وحالاته، إنه يسمح بالتذكر بطرق جديدة للكينونة مع الذات ومع الآخرين" (سفين بيرنيكر وكوركين ميكيليان، 2023 : 1055).

إن النسيان إذن هو خلق لإمكانات جديدة وهو طريق لإشتراح سبل جديدة في التفكير ما أمكن الذاكرة أن تتعرف عليه لو أنها استسلمت لنفسها، وهو استعداد ومقدرة للذات الفاعلة، فكما أن هناك عمل للذاكرة هناك عمل للنسيان يقابله، فحين ننسى نستطيع أن نتحرر من تجربة الألم ونخلق الجديد ونؤسس لما هو مختلف، هنا فقط يمكننا الحديث عن نسيان مشروع، لن يكون واجبه اسكات الشر ولكن سيكون واجبه قوله بصيغة ساكنة وجدت سلامها من دون غضب، هذا القول لن يكون قول غضب ولا وصية أمر سيكون قول طلب وتمني (Paul Ricoeur, 2000: 589)، يمنع من تكرار الماضي ويجعلنا نحتفي بالغائب التاريخي، هنا تصبح الذاكرة لا تعني تمثل الماضي فقط بل مشروعا للمستقبل، فحين أنسى أمنح الذاكرة بعدا مستقبليا يتيح للإنسان التذكر والنسيان والتصالح مع كل معترك أصبح في سجل الماضي، وكذا الوصول إلى ذاكرة سعيدة حيث النسيان صورة من صورها.

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

لكن ماذا عن الصفح والغفران في علاقته بالنسيان؟ وهل تحقيق الغفران يستلزم النسيان في كل حالاته؟ وما هي الوضعية الصحيحة للذاكرة بين التذكر والنسيان؟

في ايطيقا الغفران:

إن الغفرانLe Pardon والذي يقابله بالأنجليزية لفظ Forgiveness يقتضي اسقاط العقاب؛ واسقاط العقاب هو ايجاب الثواب فلا يستحق الغفران إلا المؤمن المستحق للثواب ولهذا لا يستعمل إلا في الله فيقال غفر الله لك (السقاف علوي بن عبد القادر، د سنة: 100)، وبذلك فإن هناك فرق بين الغفران والعفو والصفح، فالأول يتم بين الله والعباد أما الثاني فيتم بين الحاكم والمحكوم بينما الثالث فيكون بين الإنسان وأخيه الإنسان (الزاوي بغورة، 2012: 58)، وبهذا فالغفران هو مفهوم ديني بحت استثمره بول ريكور ليكون بديلا عن مفهوم العفو العام الذي هو نسيان مؤسساتي، حتى وإن كان يهدف إلى تحقيق المصالحة إلا أنه يؤدي إلى فقدان الذاكرة وتحقيق مصالح نفعية، عكس الغفران الذي لا يتطلب محو الماضي ولا تناسيه، وإنما تذكره والتعبير عنه وسرده بصيغة مسالمة لا ضغينة فيها، معتبرا إياه بمثابة عطاء ومحبة وهبة don-pardon للآخر العدو من دون مقابل مع الانقطاع عن الثأر، فحتى وإن لم يطلب العدو الاعتذار فعلينا محبته كما هو، وهنا استثمار للقاعدة الذهبية الواردة في الانجيل أحبوا أعدائكم؛ افعلوا الخير وأعطوا من دون مقابل (Paul Ricoeur, 2000: 624)، وبهذا يستحيل الغفران من كونه علاقة بين الرب وعبده إلى كونه علاقة بين الذات والآخر قائمة على العطاء والهبة والكرم والحب المطلق دون انتظار مقابل، حيث تتوقف فيه الذات عن طلب العقوبة والتعويض وعن السخط والغضب على الآخر لإساءته لها وإلحاق الضرر بها، وبهذا استطاع ريكور أن يخرج الغفران من المجال الديني ليمنحه بعدا كونيا.

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, **EISSN:** 2600-6189

مجلد: *15* عدد *01* جوان *2024*
العنوان: **بول ريكور : من أنطولوجيا النسيان إلى ايطيقا الغفران** *ص.ص 363-388.*

لم تكن انطولوجيا بول ريكور يوما شبيهة بأنطولوجيا مارتن هايدغرMartin Heidegger (1889-1976) في حديثه عن نسيان الكينونة، بل هي انطولوجيا مطعمة ببعد ايطيقي يجعل من الغفران مخرجا صحيا لأزمة الذاكرة، هذا الانعطاف نحو الأخلاق أراد من وراءه ريكور بعث وبناء إنسان قادر capable L'homme يستطيع الكلام والفعل وتحمل المسؤولية أخلاقيا وقانونيا وسياسيا... (Paul Ricoeur, 2000: 235)، ذلك أن النسيان يطرح مشكلة الوضع البشري الذي يفترض وجود الإساءة القادمة من الآخر واعتراف الآخر بهذه الإساءة والمقدرة على الغفران، إذ وبالرغم من طابع الشر المغروس في الإنسان إلا أن هذا لا ينفي الجانب الخير فيه، وكذا "قدرة انتصار هذه الخيرية على الإرادة المنغمسة في الشر والعنف، أي انتصار البراءة والطيبة الإنسانية على الإثم والخطيئة وقدرتها على تخطي كل مآسي التاريخ" (بول ريكور، 2005: 40)، وعليه فلقد وجد ريكور في العودة إلى الايطيقا أكثر من ضرورة لتجاوز أزمة فقدان المعنى وانصاف الإنسان في مختلف أبعاده الوجودية، مؤسسا في ذلك استراتيجية قانونية وأخلاقية تضمن التعايش السلمي المشترك؛ ألا وهي استراتيجية الذاكرة العادلة Mémoire juste ، التي تتيح امكانية الغفران والصفح عن الأذى المرتكب في الماضي من دون نسيانه بالضرورة، فالغفران وإن كان موجودا، وإن كان له معنى فإنه يشكل الأفق المشترك للذاكرة والتاريخ والنسيان (Paul Ricoeur, 2000: 593) وهو أيضا شفاء للذاكرة وانهاء لحدادها.

يطرح الغفران مسألة هامة وهي مسألة تمثيل الماضي على صعيد الذاكرة والتاريخ مع الخوف من النسيان، إنه لغز مزدوج؛ لغز ذنب يشل المقدرة على التحرك لهذا الإنسان القادر الذي هو نحن، وهناك لغز الرفع الممكن لعدم القدرة الوجودية هذه المعبرة عنها بالغفران (Paul Ricoeur, 2000: 593)، فالوجود البشري هو حوار بين هاوية الخطيئة التي لا تسقط بالتقادم من جهة وعلو الغفران الذي

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

يسمع نشيد الحب الآتي من بعيد، فيؤمن بأن في أعمق أعماق الإنسان ميلاد ينزع إلى الخير، وأن ليس هناك من خاتمة سعيدة إلا بوجود ذاكرة سعيدة قادرة على أن تتذكر وأن تغفر وتسامح دون أن تنسى بالضرورة من جهة أخرى.

إن ما خلفته الألفية الثانية من جرائم لا إنسانية كالحربين العالميتين والمحرقة ومحاولة إبادة اليهود قد جعل من فعل الوجود في حد ذاته كابوسا، ما أدى إلى تعدد الطروحات والآراء الفلسفية حول مستقبل الذاكرة الإنسانية الجريحة المثقلة بالآلام وسبل خلاصها، بين من يرفض المصالحة ويلجأ إلى التعصب بروح انتقامية ضد كل مرتكب لجرم يطال إنسانية الإنسان كأمثال فلايدمير جانكلفيتش Vladimir Jankélévitch(1903-1985) الذي اعتبر أن الشر الجذري لا يتناسب والسلم الإنساني ليدخل ضمن ما لا يقبل التكفير، فما ارتكب لا يطاله الصفح ولا يقبل التجاوز وعلى "الذاكرة أن تظل شاخصة في الماضي حتى يصبح هذا الماضي حاضرا بصيغة الماضي، ينبغي عدم الصفح" (جاك دريدا، 2018: 8) ولعل هذا ما دفع ريكور إلى التشديد على ضرورة اعادة النظر وموضعة النقاش حول ما لا يقبل التقادم، فهذا الأخير ينفي قدرة الزمن على منح المجرمين نوعا من الافلات من العقاب الذي يمثله منع الملاحقة أو المتابعة أو الادانة خارج الآجال التي يحددها القانون(Paul Ricoeur, 1995: 174) فالغفران جزء هام من عملية التعامل مع الماضي وبناء الهوية وتحقيق تحول شخصي وجماعي، ويركز ريكور على فهم الغفران كعملية تحويلية تتطلب تقدما نحو التغيير والمصالحة حتى نتجنب التقاتل بسبب ضغائن قديمة نشأت منذ الأزل، أي تجاوز الحقد للعيش بسلام وأن نطفئ نار الضغينة ونسخر طاقتها الكامنة في أمور تعود عليها بالنفع (تزفيتان تودوروف، 2006: 234)، مؤكدا على أن الغفران ليس مجرد عفو أو نسيان بسيط بل هو عملية تعبير عن التعاطف والألم والتعامل مع التاريخ بمسؤولية.

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

يرى بول ريكور أن الغفران عما لا يتقادم ليس سهلا ولكنه في مقابل ذلك ليس مستحيلا، ذلك أن مسيرة الغفران تبدأ من ينبوع عدم التناسب القائم بين قطبي الذنب والغفران، إذ أن هناك اختلاف عمودي بين عمق الذنب وعمق الغفران (Paul Ricoeur, 2000: 539)، وهو الرأي ذاته الذي أقره الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا Jacques derrida (1930-2004) الذي يرى "أن الصفح يجب أن لا يكون طبيعيا أو معياريا أو مطبعا، بل يجب أن يكون استثنائيا وخارقا للعادة ومعرضا لاختبار المستحيل وتحقيقه له"(جاك دريدا، 2018: 10)، وعليه فإن صعوبة الغفران حسب ريكور تتأتى من خلال ارتباطه بذنب أو إثم اجرامي مرعب ومؤذي يتعارض مع التقادم ولا يمكن تبريره، لكن ما يجعل منه غير مستحيل هو ارتباطه بما لا يمكن تجاوزه، لأنه الغفران لا يتعلق بالذنوب والأخطاء الصغيرة بل يرتبط بكبائر الجرائم الانسانية، بحيث يكون الغفران اتجاهها غير مشروط بل مطلوب لذاته؛ أي منحة بين الجلاد والضحية لا يبتغى من وراءها نفع أو تحقيق غاية، لأنه لو ارتبط بغاية لاستحال إلى استراتيجية هادفة إلى طمس الذاكرة والغائها.

في ضوء هذا يكون الغفران حدا وسيطا في تدبير الذاكرة؛ بين الغلو في التذكر من جهة والمبالغة في النسيان من جهة أخرى، بل وحلا قيميا لتناقضات العيش المشترك ومعالجة لجراح الذاكرة الإنسانية وآلامها وتحريرها من ثقل الماضي، من خلال ارساء براديغم الاعتراف Reconnaissance لدى الذات وعينها كآخر للتحقيق التصالح مع الذاكرة المشتركة وتفادي تمديد عمر العداءات والأحقاد القديمة وتأسيس أحقاد جديدة، وهنا يشيد بول ريكور بتجربة المصالحة التي أقامها نيلسون مانديلا Nelson Mandela(1918-2013) من خلال تكوين لجنة المصالحة والسلم والتي سهرت على جمع الشهادات وتعزية المظلومين وتعويض الضحايا والعفو عن الذين اعترفوا بأنهم ارتكبوا جرائم سياسية كل هذا تحت شعار : نعم للفهم لا

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

للانتقام والعقاب، ونعم للصفح لا للنسيان (Paul Ricoeur, 2000: 627)، تمكن بفضلها من القضاء على التمييز العنصري في جنوب أفريقيا والنهوض بشعبها من أزمته والخروج به من دائرة العنف والصراعات الأهلية، دون التهرب من ماضيها التاريخي الأليم والجارح والشقي؛ بل جعل منه أرضية للتعلم من الأخطاء واستخلاص الدروس والعبر، فعكس بذلك جانبا من الغيرية في الإنسان القادر على التذكر والصفح والغفران دون أن ينسى، الإنسان القادر على التعايش مع الآخر والاعتراف به بعيدا عن كل كراهية وعنف وانتقام، "فالغفران يقتضي أن تبقى الذاكرة يقظة ومتيقظة، تستحضر الماضي وتعيش الحاضر بصورة الماضي، فمن أجل الغفران لا بد للذاكرة أن تعمل وتشتغل" (جاك دريدا، 2018: 12).

إن الوصول إلى تحقيق حلم الإنسانية في التعايش المشترك لا يتحقق حسب بول ريكور إلا من خلال الالتزام بالمسؤولية الأخلاقية المتمثلة في مواجهة الأحقاد المتوارثة، تحت شكل إرادة مصممة على فهم هؤلاء الآخرين الذين جعل التاريخ منهم أعداء (Paul Ricoeur, 2000: 618)، إذ لا بد من أن نعمل على توجيه ذواتنا حينما تنغلق وتنكمش على جراحها وآلامها الخاصة إلى الحد الذي تتعامى فيه عن جراحات وعذابات الآخرين، وأن نجعل من ذاكرتنا عادلة ومنصفة ، ذلك أن واجب الذاكرة هو واجب العدل عن طريق تحمل مسؤولية الدَّين الذي لا يجب اغلاقه على مفهوم المذنب فقط، فنحن جميعا ندين لأولئك الذين سبقونا بقسم مما نحن فيه (Paul Ricoeur, 2000: 108)، فدَّيننا اتجاههم يكون بتنمية حس الوعي والشعور بالآخرين وباحترامهم والاعتراف بهم، إذ لا ينبغي أن تتمركز ذاكرتنا وتنغلق على جراحها ولا أن تضع تلك الآلام طي النسيان، بل لا بد أن تفعلها بطريقة نقدية عملية في ظل مقولة التسامح والاعتراف والغفران الجميل وتحمل المسؤولية امام الضحايا، وهنا يقترح ريكور ضرورة وجود "ذاكرة بديلة هي ذاكرة الغفران أي الذاكرة التي تغفر دون أن تنسى، ذاكرة تحرص انجازاتنا وتجعل من عداءات الآخر وذكرياته

جزءا من عداءاتنا وذكرياتنا" (بول ريكور، الذاكرة والسرد حوارات، 2016: 16)، وهذا لا يتحقق إلا من خلال اعادة تفعيل التاريخ عن طريق التأويل والسرد فالماضي لا يمكنه أن يمضي طالما لم ننفتح عليه بالنقد، لأن النقد يمكننا من تصفية الحسابات مع الذاكرة المثقلة بالهموم والآلام والجراح التي لا تزال تحرك فينا الحقد والكراهية اتجاه الاخر، هذا فضلا على أن الذاكرة المجروحة لا تلتئم جراحها بعمل الذاكرة فقط، وإنما من خلال القيام بعمل العزاء والحداد Travail de Forgeron أي القبول بفقدان عزيز لا يعوض أو بما يتعذر ترميمه واصلاحه، فعمل الحداد هو طريقة في منح الناس حق البدأ من جديد "فربما يتمكنون من خلال التذكر التغلب على وسواس أو جبر تكرار وتحقيق توازن سليم بين الذاكرة والنسيان" (بول ريكور، الذاكرة والسرد حوارات، 2016: 43) وبهذا يكون لمعرفة الماضي واستذكار مآسيه أثر عاطفي وأخلاقي كبير يقي المجتمعات من تكرار أحداث هذا الماضي العنيف ومن ثم التوجه نحو بناء مجتمعات مسالمة وغير متعصبة (جنسبرجيه سارة و ساندرين لوفران، 2020: 8) ، فبفضل الغفران تخرج الذات من حدادها وتتجه نحو التعايش مع الآخر.

هذا ويؤكد بول ريكور على الدور الهام لأخلاق النقاش والحوار في الغفران والنسيان، "إذ من الأفضل دائما أن نعطي فرصة للغضب والكراهية على أن يعبرا عن أنفسهما، وذلك لوجود شيء صحي حقيقة في التعبير عن الغضب، فالتعبير والنقاش طريقين للعلاج، فأن نسمع لآلام الغير هنا نكون قد خطونا خطوة باتجاه الغفران" (بول ريكور، الذاكرة والسرد حوارات، 2016: 133)، وعليه فلقد وجد ريكور في العودة إلى الغفران والحب المطلق كمبادئ إيطيقية كامنة في جوهر التراث الإبراهيمي -الديانات التوحيدية- حلا للخروج من الاغتراب السياسي المتوحش الذي خلفته لاعقلانية الحداثة ودواء لجراح الذاكرة الدامية وسبيلا لجبر الضرر والتعويض عما سلف وبلوغ ذاكرة سعيدة خالية

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

من الهموم والمشاكل لها قابلية التعايش مع الآخر المختلف في فضاء كوني مشترك عالمي يغمره السلام الدائم وروح الاعتراف المتبادل.

على الرغم من أهمية وجدارة سياسة الذاكرة العادلة التي أقامها بول ريكور كنظرية تؤسس أنطولوجيا النسيان على قيم ايطيقية تساهم في تنظيم الممارسة الحياتية فردية كانت أم جماعية ، إلا أنها تبقى مجرد نظرية مستعصية التطبيق، لا سيما في واقعنا المعاصر أين نشهد أفول وانهيار متسارع لكل القيم التي أنتجها الفكر البشري في مجال الأخلاق والسياسة، فأين البشرية اليوم من مفاهيم العدالة والسلم الكوني والتسامح والصفح والغفران والمحبة والطيبة، وفلسطين لا تزال تتعرض لأبشع أشكال الإبادة والتعذيب اللاإنساني الذي لم يسبق له نظير؛ من تقتيل وتشريد وتجويع وتهجير...وغيرها من الأساليب التي عكست وحشية العدو وعمق الشر الجذري المحقن داخله اتجاه الضحية؟، كيف يمكن لذاكرة الذات المجروحة أن تشفى بغفران ما لا يتقادم من جراح ماضيها وهي لا تزال تتلقى الأوجاع والطعنات نفسها في حاضرها من قبل الآخر؟، فما دامت عقدة المركزية والفردانية لا تزال هي البراديغم المسيطر فإن الذاكرة الفلسطينية ومعها ذاكرة العالم فردية كانت أم جماعية ستبقى جريحة تتألم؛ فلا النسيان ولا الصفح ولا الغفران ولا الاعتراف قادر على علاجها وتهدئتها.

خاتمة:

في ختام هذا المقال يمكننا التوصل إلى جملة من النتائج وهي كالتالي :

- إن الذاكرة المجروحة بفعل ويلات أعمال العنف والحرب والإبادة اللاإنسانية التي عاشتها البشرية، لا تزال تفرض نفسها على العقل الإنساني ونظامه الخطابي التاريخي، وتمارس سلطتها على الإنسان من خلال سجنه في زاوية تلك الأحداث المريرة التي تصير أداة يقرأ بها واقعه ويتعامل معها أكثر مما يعيش حاضره، وهو ما يحول دون تحقيقه لحلم التعايش المشترك مع الآخر، خاصة عندما

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

تصبح الذاكرة والنسيان أداة للتلاعب الايديولوجي من قبل من يمتلكون زمام السلطة لتحقيق مصالحهم ومنافعهم.

- لقد سعى بول ريكور إلى ايجاد الطريقة التي تسمو من خلالها الذات القادرة بالتاريخ إلى مستوى ذاكرة حية لها فعاليتها في بناء حياة فاضلة، وذلك عبر توطين ثقافة عقلانية أخلاقية رشيدة في التذكر والاعتراف والتعايش لدى الافراد والمجتمعات، من خلال التفكير في انطولوجيا للنسيان تكون وثيقة الصلة بالأخلاق.

- إن المخرج الذي يقترحه ريكور هو نحت ذاكرة انسانية عادلة متوازنة تنعم بالهدوء قادرة على عدم النسيان في علاقتها بالعذاب والألم والحزن الذي تسبب فيه التاريخ، وعلى التسامح والغفران في علاقته بالذنب والشقاء والشر الجذري الذي تعرضت له الذات تحت تأثير السلطة.

إن بول ريكور لا يدعو إلى النسيان في شكله المؤسساتي المأمور "العفو العام" لأنه حل سياسي حتى وإن بلغ بنا للمصالحة، فإنه لا يقضي على الألم ولا يحقق الرضى النفسي بقدر ما يهدئ الذاكرة ويجبرها على النسيان مما يؤدي إلى فقدانها، ولهذا فالنسيان المشروع هو ذلك الذي لا يهدف إلى اسكات الشر بل قوله بلغة ساكنة عن طريق الاعتماد على السرد الذي يجعلنا نستعمل الماضي استعمالا جديدا ومغايرا يحررنا من الألم ويكشف لنا عن القيم المثالية الكامنة فيه، وهو ما يعطي الذاكرة بعدا مستقبليا، وفي هذا دعوة إلى النسيان كفن يدفع إلى الاحتفاء بالذاكرة السعيدة التي تستحضر الماضي وتستغله وتعيش الحاضر بدور الماضي لتجنب تكرار آلامه، تلك الذاكرة التي تستطيع عن طريق الغفران كقيمة فوق أخلاقية "هبة وعطاء" أن تتعايش مع الآخر وتعترف به وتؤمن بأهمية التشارك معه لتأسيس السلام والتقدم نحو مستقبل الأمان.

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

قائمة المراجع:

- اري، سكوابر، ايرك، كاندل، (2002)، **الذاكرة من العقل إلى الجزئيات**، تر عرار سامر، ط1 ، الرياض: مكتبة العبيكان.
- برتيل، لميس، (2023)، «في سبيل ذاكرة إنسانية عادلة بول ريكور أنموذجا» ، **سلسلة الأنوار**، جامعة وهران، المجلد:13، العدد:3، ص.ص 208-226.
- بغورة، الزاوي ، (2012)، **الاعتراف من أجل مفهوم جديد للعدل دراسة في الفلسفات الاجتماعية**، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- بيير، نورا، (2020)، « الارتقاء العالمي للذاكرة » ، تر ميرفت أبو خليل، **مجلة تبين**، المجلد:33، العدد: 9، ص ص129-139.
- تزفيتان، تودوروف، (2006)، **الأمل والذاكرة خلاصة القرن العشرين**، تر نرمين عبد الله العمري،ط1، الرياض: مكتبة العبيكان.
- جنسبرجيه، سارة وساندرين، لوفران، (2020)، **ما الفائدة من سياسات الذاكرة؟**، تر سيوفي رميساء، ط1، بيروت: دار الفارابي.
- دريدا، جاك، (2018)، **الصفح "ما لا يقبل الصفح وما لا يتقادم"**، تر مصطفى العارف وعبد الرحيم نور الدين، ط1، ايطاليا: منشورات المتوسط.
- ريكور، بول، (2009)، **الذاكرة والتاريخ والنسيان**، تر جورج زيناتي، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- ريكور، بول، (2005)، **الذات عينها كآخر**، تر جورج زيناتي، ط1، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- ريكور، بول، (2008)، **فلسفة الإرادة "الإنسان الخطاء"**، تر عدنان نجيب الدين، ط1، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- ريكور، بول، (2010)، **سيرة الاعتراف**، تر فتحي إنقزّو، ط1، تونس: المركز الوطني للترجمة.
- ريكور، بول، (2016)، **الذاكرة والسرد حوارات**، تر سمير مندي، ط1، عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- ريكور، بول، (2016)، **حي حتى الموت**، ترعمارة ناصر، ط1، الجزائر منشورات الاختلاف.

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz

- زفيتان، تودوروف، (2006)، **الأمل والذاكرة خلاصة القرن العشرين**، تر نرمين عبد الله العمري، الرياض: مكتبة العبيكان.
- سفين، بيرنيكر وكوركين، ميكيليان، (2023)، **مرجع روتلدج في فلسفة الذاكرة**، تر مصطفى سمير عبد الرحيم، ط1، بيروت: ابن النديم للنشر والتوزيع ودار الروافد الثقافية.
- السقاف، علوي بن عبد القادر، (دسنة)، **موسوعة الأخلاق**، د بلد: مؤسسة الدرر السنوية.
- صليبا، جميل، (1982)، **المعجم الفلسفي**، ط1، بيروت: دار الكتاب اللبناني، جزء2.
- فريدريش، نيتشه، (2019)، **محاسن التاريخ ومساوئه**، تررشيد بوطيب، ط1، الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية.
- نوربير، سيلامي، (2000)، **المعجم الموسوعي لعلم النفس**، تر وجيه أسعد، دمشق : وزارة الثقافة، ج2.
- Ricoeur, Paul, (2000), **La mémoire, l'histoire, l'oubli**, paris: éditions du Seuil.
- François , dosse,(2013), **paul ricoeur :penser la mémoire** , paris: les éditions du seuil .
- Ricoeur, Paul, (1995), **La critique et la conviction**, Entretien avec François Azouvi et Marc de launay: Calmann-Lévy.
-

الناصرية

المؤلف المرسل: لميس برتيل
lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz